قصيدة الإمام أبي عبد الله اليافعي الشافعي اليمني (١)

في الردِّ على التقيّ السُّبكي والانتصار لشيخ الإسلام ابن تيمية

تحقيق وتعليق الشيخ

صلاح الدين مقبول أحمد

اعتنى بها

محمد ناهض عبد السلام حنُّونة

غزَّة –فلسطين

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن جمال الدين يوسف اليافعي الشافعي اليمني، وقصيدته هذه تُنبيك عن علمه وفهمه وذكائه، وسلامة مُعتقده، وانتصاره لمذهب السلف الصالح، وقد جادت قريحته الوقادة بهذا النظم العظيم، للدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والانتصار لمذهبه، وكشف اللثام عن المغالطات والتمويهات التي انطلت على كثيرٍ من الناس.

(تمهيد)

١	الحمد لله حمداً أستزيد به	فضل الإله وآتى ما أمرتُ به
٢	وأستعينُ به في كل مُعضِلةٍ	تأتِي فما خاب عبدٌ يستعين به [٢]
٣	فهو الإله الكريم الواحد الأحد الـ	فرد المجير لعهد يستجير به
٤	ثم الصلاة على المختار ما طلعت	شمس وما قد سرى نجم بغَيْهَبه [٣]
٥	وبعد فاسمع كلاماً قد تقوَّلَهُ	قاضي القضاة تقيُّ الدين وانتبه [٤]
٦	أعني أبا الحسنِ السُّبكيُّ حينَ غَدا	يبغى من الأمر مالا يستقلُّ به [٥]
٧	فقال ذلك إذ ردَّ الإمامُ على	حزبِ الروافض رداً غير مُشتَبِه [٦]
٨	اعني ابن تيمية الحبر الذي شهدت	بفضله فضلاء الناس والنُّبُه [٧]

---

(٢) معضلة: مُشكلة. وجمعها: معضلات، وهي المشكلات والشدائد.

(٣) بغيهَبِه: بظلامه.

(٤) في الأصل (تفوَّهه) بدلاً من (تقوَّله). وتقيُّ الدين: هو علي بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣ –٧٥٦ هـ).

(٥) ما لا يستقلُّ به: ما لا طاقة له بحمله.

(٦) في الأصل (فقال ذلك إذ ردَّ الإمام على). والإمام: هو شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (٦٦١ –٧٢٨ هـ).

(٧) الحَبر: العالم الصالح المتبحر. النُّبه: جمع نبيه: وهم أهل الفطنة والذكاء والخبرة.

٩	فاستحسن الردَّ حتى راح يمدحه	بما أزال من الأشكال والشُّبَه (٨)
١٠	لكنه بعد هذا المدح خالفه	وقال أبياتَ شعرٍ غير مُنجيِه (٩)

(بيان ما جاء في قصيدة السُّبكي)

١١	إن الروافض قوم لا خلاق لهم	من أجهل الناس في علم وأكذبه (١٠)
١٢	والناس في غُنيَةٍ رد إفكهم	لهُجنة الرفض واستقباح مذهبه (١١)
١٣	وابن المطهر لم تطهر خلائقه	داع إلى الرفض غال في تعصبه (١٢)

(٨) فاستحسن الردَّ: استحسن السُّبكيُّ ردَّ شيخ الإسلام على الروافض في سِفره القيّم "منهاج السُّنة النبوية".

(٩) في الأصل (غير مُنجبِه) أي باطلٌ، بخلاف الصواب والحق. وهنا: (غير مُنجيِه) من النجاة.

(١٠) لا خلاق لهم: أي لا نصيب لهم من الخير. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٥٥٠): "وكل أحد يعلم أن أهل الحديث أصدق الطوائف كما قال عبد الله بن المبارك: وجدت الدين لأهل الحديث، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة، والخيل لأهل الرأي، وسوء الرأي والتدبير لآل أبي فلان".

(١١) هُجنة: هو الأمر القبيح، أو ما يُعاب به.

(١٢) ابن المطهر: هو جمال الدين، الحسن بن يوسف الحِلّي (٦٤٨ –٧٦٢ هـ) المشهور عند الشيعة الإمامية بالعلامة صاحب "منهاج الكرامة"، والذي ردَّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "منهاج السُّنة النبوية".

١٤	لقد تقوَّل في الصحب الكرام ولم	يَسْتَحِي من افتراءٍ غير منتبه [١٣]
١٥	ولابن تيمية ردٌ عليه وَفَى	بمقصد الرد واستيفاء أضرُبه [١٤]
١٦	لكنه خلط الحق المبين بما	يشوبُه كدر في صفو مَشرَبِه
١٧	يحاولُ الحشْوَ أَنّى كانَ فهو له	حثيث سيرٍ بشرقٍ أو بِمَغرِبه [١٥]

---

(١٣) في الأصل: (غير مُنجَبِه).

(١٤) ردٌّ عليه: على ابن المطهر الحلي. استيفاء: إعطاء الشيء حقه.

(١٥) افترى السُّبكي على شيخ الإسلام بأنه يرى الحشو والتجسيم. والحشو لغةً: ملء الوسادة وغيرها بشيء، وما يُجعل فيها يُسمى حشواً أيضاً. واصطلاحاً: عبارة عن الزائد الذي لا طائل تحته. يحاول الحشو: يتهم السُّبكي شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه يرى الحشو والتجسيم، ونعوذ بالله من ذلك.

وإليكم ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح هذه المسألة، قال رحمه الله في "مجموع الفتاوى": (١٣/ ١٥٤): "وقد قيل: أول من قال في الإسلام أن القديم جسم هو هشام بن الحكم كما أن أول من أظهر في الإسلام نفي الجسم هو الجهم بن صفوان. وكلام السلف والأئمة في ذم الجهمية كثير مشهور فإن مرض التعطيل شر من مرض التجسيم، وإنما كان السلف يذمون المشبهة كما قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وإسحاق بن راهويه وغيرهما قالوا: المشبهة الذين يقولون: بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي".

وقال بعدما فصَّل في الجهة والحيِّز (٦/ ٤٠): "فبهذا التفصيل يزول الاشتباه والتضليل وإلا فكل من نفى شيئا من الأسماء والصفات سمي من أثبت ذلك مجسما قائلا بالتحيز والجهة".

ونرى أن كتابات شيخ الإسلام مليئة بالرد على المجسمة والنفاة، وبيَّن رحمه الله أن أهل السُّنة والدماعة وسطٌ في باب الصفات بين أهل التعطيل: الجهمية، وأهل التمثيل: المشبهة.

ومع هذا لم يتوانَ خصومه من المعاصرين أمثال "التقي السُّبكي"، و"أحمد الكلابي"، و"ابن بطوطة"، و"أبي حيان النحوي"، وغيرهم من المتأخرين مثل "الكوثري" وأذنابه في أن يرموه بالحشو والتجسيم والتشبيه، وأمرهم كما قال الشاعر:

إن يعلموا الخير يُخفوه وإن علموا ... شرًّا أُذيعَ وإن لم يعلموا كذبوا

ومعلومٌ أن أهل الباطل من المبتدعة قديماً وحديثاً –سموا أهل السنة والحديث بمثل هذا اللقب الخبيث. كما ذكره ابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث". وقد ردَّ عليهم الجيلاني في "غنية الطالبين"، والشاه أحمد بن عبد الرحيم والمعروف بـ"ولي الله الدهلوي" في "حجة الله البالغة"، وكذلك السيد محمود الآلوسي في شرحه لكتاب "مسائل الجاهلية" لابن عبد الوهاب. وقال الإمام ابن القيم في "النونية" مُبيناً تاريخ تلقيب أهل السُّنة بالحشوية:

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن

حشوية يعنون حشوا في الوجو ... د وفضلة في أمة الإنسان

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الأكوان

إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان

ظن الحمير بأن في للظرف والر ... حمن محوي بظرف مكان

والله لم يسمع ندا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان

لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبا لذي البهتان

بل قولهم إن السماوات العلى ... في كف خالق هذه الأكوان

حقا كخردلة ترى في كف ... ممسكها تعالى الله ذو السلطان

أترونه المحصور بعد أم السما ... يا قومنا ارتدعوا عن العداون

كم ذا مشبهة وكم حشوية ... فالبهت لا يخفى على الرحمن

يا قوم إن كان الكتاب وسنة ... المختار حشوا فاشهدوا ببيان

أنا بحمد إلهنا حشوية ... صرف بلا جحد ولا كتمان

تدرون من سمت شيوخكم ... بهذا الاسم في الماضي من الأزمان

١٨	يرى حوادث لا مبدا لأولها	في الله سبحانه عما يُظَنُّ به [١٦]
١٩	لو كان حياً يرى قولي ويسمعه	رددتُ ما قال رداً غير مُشْتَبِهِ [١٧]
٢٠	كما رددتُ عليه في الطلاق وفي	ترك الزيادة أقفو إثر سَبْسَبه [١٨]
٢١	وبعده لا أرى للرد فائدة	هذا وجوهره مما أَضُنُّ به [١٩]
٢٢	فالردُّ يحسن في حالين: واحدةٌ	لقطع خصم قويٍّ في تقلبه [٢٠]

سمى به ابن عبيد الله عبد الله ذا ... ك ابن الخليفة طارد الشيطان

فورثتم عمرا كما ورثوا لعبد ... الله أنى يستوي الإرثان

تدرون من أولى بهذا الاسم وهـ ... و مناسب أحواله بوزان

من قد حشا الأوراق والأذهان من ... بدع تخالف موجب القرآن

هذا هو الحشوي لا أهل الحد ... يث أئمة الإسلام والإيمان

وعمرو بن عُبيد: رأس المعتزلة، وهو الذي سمّة علد الله بن عمر رضي الله عنهما حشوياً.

وقال شيخ الإسلام ردّاً على نُفاة الصفات في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٢٣): "وأما ما نفيتَه فهو ثابتٌ بالشرع والعقل، وتسميتُكَ ذلك تشبيهاً وتجسيماً تمويهٌ على الجُهّال".

(١٦) وهذه فريةٌ أخرى على شيخ الإسلام بأسلوب يجعل المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، فما نسبه السُّبكي إلى شيخ الإسلام خطأ عنده على مذهب أهل الكلام المذموم، وحقٌّ عند شيخ الإسلام في ضوء الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح.

(١٧) وقد ردَّ عليه الناظم أبو عبد الله الشافعي في البيت رقم (٩٩) من قصيدته هذه.

(١٨) السبسب: الأرض القفر البعيدة، والمعنى: أنه تتبَّع غرائبه وشوارده بالرد. وسيأتي ردُّ الناظم عليه في الأبيات ذات الأرقام (٧٣ وما بعدها)، و(٨٨ وما بعده).

(١٩) أضن به: أخص به.

(٢٠) في الأصل: (تغلُّبه).

٢٣	وحالة لانتفاع الناس حيثُ به	هُدىً وربحٌ جزيل في تكسُّبِه [٢١]
٢٤	وليس للناس في علم الكلام هدىً	بل بدعة وضلال في تطلُّبِه [٢٢]
٢٥	ولي يدٌ فيه لولا ضعفُ سامعه	جعلتُ نظمَ بسيطي في مهذَّبه [٢٣]
٢٦	هذا الذي قاله السبكي مرتجلاً	وللبسيط انتمى في بعض أضربه

الرد على قصيدة السُّبكي

٢٧	فقال مرتجلاً للحق منتصراً	عبدٌ يَرُد عليه فِي تَأدبِه
٢٨	يا أيُّها الرجل الحَامِي لمذهبه	ألزمتَ نفسك أمراً ما أمرتَ به
٢٩	تقوَّلَ فِي بَاغِضي صَحبِ الرسول ومن	يريك سبَّهُم أصلاً لمذهبه [٢٤]

(٢١) في الأصل (لديهم) بدل (جزيلٌ).

(٢٢) علم الكلام: علمٌ يبحث عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام. وعلم الكلام المذموم ما يجعل فيه العقل عياراً على الكتاب والسنة. انظر تعريفات الجرجاني (ص ١٥٦).

(٢٣) لي يد فيه: مهارة في علم الكلام. البسيط: ثالث بحور العروض. ووزنه: مستفعلن فاعلن أربع مرات.

(٢٤) في الأصل: (يرى مسبَّتهم أصلاً لمذهبِه). في باغضي صحب الرسول: في الشيعة الروافض الذين هم أخبث الناس، كما قال ابن القيم رحمه الله: "وليس في الدنيا قومٌ يكون السبُّ عندهم ديناً إلا هؤلاء الطغام؛ حتى ذكروا في كتبهم عن أئمة أهل البيت –وهم منهم برآء كذباً وزوراً: أن من يسبُّ فلاناً وفلاناً من الخلفاء الراشدين، أو فلانةً وفلانة من أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم المطهرات؛ فله من الثواب كذا وكذا، فلعنُ الله على الظالمين".

٣٠	والناس في غُنيةٍ عن ردِّ إفكهم	هذا هو الإفك لكن ما شعرت به [٢٥]
٣١	بل ردُّه واجبٌ نصحاً ومعذرةً	ونُصرةً لِسَبيل الحقِّ من شُبَهِ
٣٢	إذا تقوَّل في الصَّحبِ الكِرامِ فَمَا	ذا تُوجبون عليه يا ذَوي النَّبَهِ [٢٦]
٣٣	وقد علمتم بأنَّ الشخصَ داعية	إلى الضلال بلا ترديد مُشتَبَهِ [٢٧]

افتراءات على شيخ الإسلام ابن تيمية

٣٤	وما عزوتم إلى الشيخ الجليل أبي ال	عباس أحمدَ أمر لا يُخصُّ به [٢٨]
٣٥	في قولكم: خلطَ الحق المبين بما	يشوبُه كدرٌ في صفوِ مَشرَبِه [٢٩]
٣٦	يحاول الحشو أنى كان فهو له	حثيث سير بشرق أو بمغربه [٣٠]

---

(٢٥) الشطر الأول من البيت للسُّبكي.

(٢٦) في الأصل (يا أولي)، وهم أهل الفطنة والذكاء والعقل.

(٢٧) في الأصل: (إلى الضلالِ بلا ريبٍ ولا شُبه) ومعروفٌ أن الحلي كان داعيةً إلى الرفض، وألف كتابه "منهاج الكرامة" لأجل الملك الجايتو "خدا بنده" من أحفاد جنكيز خان. فالحكم على الداعية إلى البدعة يختلف عن الحكم على غير الداعية، فالأول لا بُد أن يُفضح أمام الملأ من الناس؛ لئلا يقعوا في حبائله. والآخر يُستحسن أن يُناقش معه ليرجع عن بدعته إلى الحق والصواب.

(٢٨) وفي الأصل (وما نسبتم). أمر لا يُخصُّ به: هو ليس بمنفردٍ به، بل قاله غيره من كبار علماء السلف المتقدمين.

(٢٩) وفي الأصل (من قولكم)، والبيت من قصيدة السُّبكي غير الكلمة الأولى.

(٣٠) وقد ردَّ عليه الناظم في البيت (٤٥) وما بعده.

٣٧	يرى حوادث لا مبدأ لأولها	في الله سبحانه عما يظن به [٣١]
٣٨	لقد علمتم بأن السادة السلف الـ	ـماضين ما خرجوا عما أقرَّ به
٣٩	هم القرون الألى في نصِّ سيدنا	حازوا الفخار بأمر غير مُشتَبِه [٣٢]
٤٠	لئن رددتَ عليه في مقالته	فقد رددتَ عليهم فادر وانتبه [٣٣]
٤١	ثم الأئمة أهل الحق كلهم	يرون ما قاله من غير ما جَبَهِ [٣٤]
٤٢	فردُّكمُ ليس مخصوصاً بواحدهم	بل بالجميع وهذا موضع الشَّبَه
٤٣	هلا جمعت الألى قالوا مقالته	ليستبين خطاهم من مُصَوَّبِه
٤٤	فكلُّهُم خلَطَ الحقَّ المُبينَ بِما	يشوبُه كدرٌ في صَفوِ مَشربه [٣٥]

فرية الحشو والتجسيم

(٣١) وقد ردَّ عليه الناظم في البيت (٥٧) وما بعده من هذه القصيدة.

(٣٢) في الأصل: (نصَّ الرسول على ... تفضيلهم وأزالوا كل مُشتَبِهِ) وقد ورو عن ابن مسعود فيما صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: (خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثُمّ الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثُم يجيءُ أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي. وهذه هي القرون المشهود لها بالخيرية، التي نصَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على تفضيلها على غيرها من القرون، وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الموضوع إلى ما ذهب إليه أهل القرون المفضلة.

(٣٣) رددت عليهم: أي على السلف.

(٣٤) في الأصل: (كذا الأئمة).

(٣٥) في الأصل (خلطوا).

٤٥	فكلهم كان حَشويّاً لديك يرى	وكلُّهم أنتَ تقفو إثرَ سَبْسَبه [٣٦]
٤٧	فالحشوُ فريةُ جَهميٍّ ومُعتزلٍ	فامدَح وذُمَّ بما جاءَ الكتابُ بِه [٣٧]
٤٨	وانظر إلى مطلب حاولته طلباً	فنيَّةُ المرء تُلفى عند مَطلبه [٣٨]
٤٩	وخُذ أدلة ما قالوه واضحةً	من الكتابِ ودعْ ما قد هذوتَ به [٣٩]
٥٠	فللإله صفات الذات قد وردت	بها النصوص بلا ريبٍ ولا شَبَهِ [٤٠]

(٣٦) في الأصل (إن كان ذلك حشوياً لديك يرى). تقفو إثر سبسبه: تتبع شارده ووراده.

(٣٧) وهذا البيت ساقطٌ من الأصل. وفيه:

أن اتهام السُّبكي شيخ الإسلام بالحشو والتجسيم ليس جديداً على أهل السُّنة، بل اتهمت الجهمية والمعتزلة أهل السُّنة والحديث بهذه الفرية. وزد إلى ذلك أن هذه الألفاظ لم يرد ذكرها في كتاب الله تعالى ولا في سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى –رداً على الكلابي في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٢٩٨): "... ذم الناس بأسماءٍ ما أنزل الله بها من سلطان... أما هذه الألفاظ الثلاثة (الحشو –والتجسيم –والتشبيه –وكذا: الحيِّز والجهة) فليست في كتاب الله ولا في حديث رسول الله، ولا نطق بها أحدٌ من سلف الأمة وأئمتها، لا نفياً ولا إثباتاً.

وأول من ابتدع الذمَّ بها (المعتزلة) الذين فارقوا جماعة المسلمين، فاتباع سبيل المعتزلة دون سبيل سلف الأمة: تركٌ للقول السديد الواجب في الدين، واتباعٌ لسبيل المبتدعة الضالين.

وقال شيخ الإسلام في "الفتاوى" (٤/ ١٤٥ –١٤٧): "وليس فيها لفظٌ يوجد عن بعض السلف ذمه إلا لفظ (التشبيه)؛ فلو اقتصر به لكان قدوةً من السلف الصالح. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: فامدح وذُم بما جاء الكتاب به.

(٣٨) في الأصل (وانظر لوازم ما حاولته طلباً ... فسُبّة المرء) تُلفى: توجد.

(٣٩) هذوت: من الهذيان، وهو الكلام غير معقول المعنى.

(٤٠) في الأصل: (فالربُّ سبحانه ما زال مُتصفاً ... بكُلِّ وصف كمالٍ عند موجِبه)

٥١	كما تراها على قسمين قائمة	بها يقينا يراها من أقر به
٥٢	هو القديم بأوصاف منزهة	عن الحديث كما تأتيك فانتبه [٤١]
٥٣	حي سميع بصير قادر صمد	فرد جليل عظيم الشأن فارض به
٥٤	فهذه كلها ذاتية وردت	ومثلها في المعاني غير مشتبه
٥٥	كذاكَ فعليَّةٌ فانظر مِثالهُمَا	وقِس عليه وراعِ الفرعَ تَنْجُ بِهِ
٥٦	يحبُّ، يبغضُ، يرضى، يستجيبُ يَرَى	يجيءُ، يأتي، بلا كيفٍ ولا شَبَهِ

إمكان وجود حوادث لا أول لها

٥٧	وخالق قبل مخلوق يكونه	وقاهر قبل مقهور يكون به
٥٨	وراحمٌ قبلَ مَرحُومٍ فَيرحَمُه	ورازق قبل مرزوق بأضرُبِهِ [٤٢]

وقال صاحب "شرح العقيدة الطحاوية" (ص ١٢٧):"إن الله تعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات، وصفات الفعل، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال؛ فقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكلام بعد أن كان مُتصفاً بضده...".

(٤١) القديم: ليس من أسماء الله الحسنة، إنما من أسمائه في هذا المعنى، هو (الأول). وقال صاحب "الطحاوية": "وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم ... وجاء الشرع باسمه (الأول)، وهو أحسن من القديم؛ لأنه يُشعر بأن ما بعده آيلٌ إليه، وتابعٌ له، بخلاف القديم، ولله تعالى الأسماء الحسنى لا الحسنة"

(٤٢) أضرُبِه: أنواعه.

٥٩	عن أمره صدر المخلوق أجمعه	والأمر ويحك لا شك يقوله به
٦٠	وقد تكلم رب العرش بالكتب الـ	ـمنزلات كلاماً لا شبيه به [٤٣]
٦١	ولم يزل فاعلاً أو قائلاً أزلاً	إذا يشاء وهذا الحق فارض به
٦٢	هذى حوادث لامبدا لأولها	بالنص فافهمه يا نومان وانتبه [٤٤]
٦٣	إذ هل صفات الموصوف تقوم به	قديمة مثله من غير ما شبه
٦٤	ومذهبُ القومِ مرويٌّ كما ورَدَت	من غير شائبة التكييف والشُّبَهِ [٤٥]
٦٥	ولا يرون بتعطيل الصفات كما	يقول جهم ومن والاه في الشُّبه [٤٦]

---

(٤٣) في هذا البيت وما قبله من الأبيات ردٌّ على شيعة الجهم من أهل النفي والتعطيل. وقال الإمام ابن قيم الجوزية فيهم في "الكافية الشافية":

ونفوا كلام الرب جل جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان

قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه، فكيف يدان

وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان

كلا ولا وصف يقوم به سوى ... ذات مجردة بغير معان

وحياته هي نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان

(٤٤) أي أن تسليمنا بما وردت به النصوص من أن الله تعالى مُتكلمٌ فاعلٌ منذ الأزل، هو تسليم بوجود حوادث لا مبدأ لها.

(٤٥) في نسخة (ومذهب القوم مِروها كما وردت). مِرُّوها: أجيزوها.

(٤٦) وإن سلف هذه الأمة يُمرون الصفات كما جاءت من غير تعطيل، ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تكييف، ولكن جهم بن صفوان ومواليه يُنكرونها، كما قال ابن القيم في "نونيته":

جهم بن صفوان وشيعته الألى ... جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السموات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن

٦٦	حاشية الله إلا عابد صنما	يُدلى بأخبثِ مَعبُودٍ وأغربه [٤٧]
٦٧	ولا يعطل إلا عابد عدما	وليس تدري له رباً يلوذ به [٤٨]
٦٨	سوى أباطيل ما يختاره عبثا	يَرَى أمانيه تسري لمركبه [٤٩]
٦٩	لا يستفيقُ إلى ما جاءَ من أثَرٍ	بمفرد القول منه أو مُرَكَّبِهِ [٥٠]
٧٠	والجهم معبوده يبغي تطلُّبَه	وليس يفهم إلا ما أشار به [٥١]
٧١	والاتحاديُّ مع أهل الحلول لهم	تخلُّلٌ كنُفاةِ الجَهمِ فاذْرِ بِه [٥٢]
٧٢	من دربة دخلوا في كل مَفسَدَةٍ	راجت عليهم ومالوا ميل مغربة [٥٣]

مسألة الطلاق ثلاثاً

---

(٤٧) قال الإمام ابن القيم في "مختصر الصواعق": "هذه أمثالٌ حسان، مضروبةٌ للمُعطل والمُشبِّه والموحّد... ثم ذكر عشرة أمثلة، ومنها: المثل السادس: قلبُ المعطل مُتعلقٌ بالعدم، فهو أحقر الحقير، وقلب المُشبه عابدٌ للصنم الذي نُحت بالتصوير. والموحد قلبه متعبّدٌ لمن: {ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير}.

(٤٨) المعطلة: هم الذين ينفون صفات الله كالجهمية والمعتزلة والفلاسفة والإسماعيلية على تفاوتٍ بينهم في هذا النفي والتعطيل.

(٤٩) أمانيه: جمع أُمنية. تسري بمركبه: تسير في عامة الليل.

(٥٠) لا يستفيق: لا يستريح.

(٥١) جهم: هو ابن صفوان السمرقندي، الضال المبتدع، زرع شراً عظيماً، وكان من أكذب الناس على الله، وأعظمهم فتنةً وضلالةٍ في الدين. انظر: الميزان للذهبي (١/ ٤٢٦).

(٥٢) تخلل: نفوذ، وخَلّة، وخصلة.

(٥٣) وفي نسخة (فاسدة). دربه: بابه.

٧٣	وما رددت عليه في الطلاق فما	حقَّقْتَ عقلاً ولا نقلاً ظفرت به [٥٤]
٧٤	بل فاسد القصد أعيا الذهن منك كما	هي عادة الله في قالٍ لمذهبه [٥٥]
٧٥	نزلت حول حماه كي تنازله	فما علوت عليه بل علوت به [٥٦]
٧٦	وقد أجابكَ فانظر في الجواب ترى	سيفاً تجُولُ المنايا عند مَضربِه [٥٧]
٧٧	أخذت منه علوماً فانتصرت بها	على سواه وكانت من مهذبه [٥٨]
٧٨	وحُزْتَهَا مُجمَلاتٍ من مُفَصَّلَةٍ	ففصِّل الآن ما أجملتَ تحظ به [٥٩]
٧٩	وهكذا كل من سَارت ركائبه	يقفو خطاه فسائل من مجربه

---

(٥٤) ألف التقي السُّبكي عدَّة رسائل في مسألة الطلاق، ردَّ فيها على اختيارات شيخ الإسلام في هذه القضية المهمة، ومن رسائل السُّبكي: (الدرة المُضيئة في الردّ على ابن تيمية)، و(نقد الاجتماع والافتراق في مسائل الأيمان والطلاق)، و(النظر المُحقق في الحلف بالطلاق المُعلَّق)، وقد فصَّل شيخ الإسلام القول في هذه المسائل في العديد من كتبه.

(٥٥) في الأصل (في شأنٍ لمذهبه)، وهو بمعناه.

(٥٦) حماه: محميّه. تنازله: تقابله.

(٥٧) في الأصل: (وقد أجابكَ فيها خير أجوبةٍ... كالسيف جالت منايا عند مَضربه). المنايا: جمع منيَّة، وهي الموت.

(٥٨) مُهذَّبِه: ملخصه.

(٥٩) حزّتها: جمعتها. تُحظ به: ترضى به، وزناً ومعنى.

٨٠	وإن تبجّحتَ بالردَّين لستَ له	كفئاً ولا أهلُ هذا العصر فانتبه [٦٠]
٨١	كم بحر علم اتاه صار سَاقِيَةً	وكم أزال صدى جهل بصيِّبه [٦١]
٨٢	وما نرى لكم في الخلق فائدة	غير التنعم في النعماء من شبه
٨٣	أين الثريا مكانا في ترفعها	من الثرى قال هذا كل منتبه [٦٢]
٨٤	من ذا يقيس نقى الجلد من دون ال	ـدنيا وأمراضها يوماً بأجر به [٦٣]
٨٥	لو كان عندكَ إنصَافٌ وَمَكْرُمَةٌ	أو جودُ معرفةٍ أو ذهنُ منتبه
٨٦	لكنت تقفو وراه قفو مجتهد	علماً وديناً وأمراً تفلحن به [٦٤]
٨٧	لو وفق الله اهل الأرض قاطبة	إلى الصواب لساروا خلف مذهبه [٦٥]

(٦٠) في نسخة (وإن تبجَّحتَ في ردٍّ فلست له). تبجحت: فرحت. بالردَّين: أي مسألتين "الطلاق، و"شد الرحال إلى القبور"، وسيأتي ذكر شد الرحال والزيارة في البيت رقم (٨٨) من هذه القصيدة.

(٦١) وفي الأصل: (وكم جهولٍ أتاهُ صارَ مُنتَبِه). ساقيه: نهر صغير. صدى: الحشو، والوسخ، والزائد. بصيبه: بمطره، والمراد به: العلم.

(٦٢) الثريا: اسم نجم. الثرى: التراب الندي. ويُقال: أين الثرى من الثُّريا.

(٦٣) درن: وسخ. أجرب: الذي به جرب.

(٦٤) تقفو: تتبع.

(٦٥) يقول الدكتور محمد خليل هراس في كتابه "ابن تيمية السلفي" (ص ١٩٨): "هذه دعوة ابن تيمية، إصلاحٌ وإحساءٌ وتجديد، فهو بحقٍّ أبو النهضة الإسلامية الحديث، وواضع أساسها، وجميع دعاة الإسلام من بعده إنما بهديه اقتدوا، وعلى كتبه تخرَّجوا".

٨٨	وما نستقيم إليه عند ذكركم	ترك الزيارة أمراً لا يقول به
٨٩	فقد أجابكم فيها بأجوبة	أزال فيها صَدَا الإشكال والشُّبَه (٦٦)
٩٠	وقد تبيَّنَ هذا في مناسكه	لكلِّ ذِي فِطنَةٍ في القَولِ وَالنَّبَهِ (٦٧)
٩١	رميتموه ببهتان يُشان به	فالله ينصفه ممّن رماهُ به (٦٨)
٩٢	وفي الجواب أمور من تدبرها	سقى الأنام بها من صفو مشربه
٩٣	ولم يكن مانعاً نفس الزيارة بل	شد الرحال إليها فوق مركبه (٦٩)

ويقول الشيخ الدكتور عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه "لمحات من حياة ابن تيمية": "ولا أعلم لليوم مسألةً عقائدية أو أصولية دار فيها بين أبناء الإسلام لغطٌ إلا وجلَاها هذا الإمام العظيم، الذي لا غنى اليوم لمسلمٍ يريد أن يعرف الإسلام الحقيقي، عن مطالعة كتبه، والتزود من علمه".

(٦٦) وقد ردَّ شيخ الإسلام في هذه القضية على عدّة من علماء عصره، في كتبٍ مستقلة، ومنها: (الرد على الإخنائي)، و(الجواب الباهر)، و(المنسك القديم)، و(المنسك الجديد)، وغيرها من الفتاوى والكتابات.

(٦٧) مناسكه: أي كتبه التي تتعلق بمناسك الحج. مثل: المنسك القديم، والمنسك الجديد. معربه: مُبينه، والمفصح عنه.

(٦٨) يُشان: يُعاب. وكذلك رماه الإخنائي في هذه المسألة بما لم يقله، وبيّن ذلك شيخ الإسلام في كتابه "الرد على الإخنائي".

(٦٩) ولا ريب أن زيارة القبور مُستحبَّةٌ، وقرّر ذلك شيخ الإسلام في كتبه بما لا مزيد عليه، ولا يُنكره إلا مُعاندٌ مُكابر، والذي نهى عنه شيخ الإسلام هو شدُّ الرحال إلى القبور، واستدلالاً

٩٤	مستمسكاً بصحيح القول متبعاً	خير القرون الأُلى جاءوا بمذهبه (٧٠)
٩٥	مع الأئمة أهل الحق كلهم	قالوا كما قال قولاً غير مشتبه
٩٦	وقد علمت يقيناً حين وافقة	أهل العراق على فتياه فانتبه (٧١)

الدفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

٩٧	هذا وقد قلت فيما قلت مرتجلاً	فيما تقدم قولاً غير مُنجَبِه (٧٢)
٩٨	لو كان حيا يرى قولي ويسمعه	رددت ما قال قولاً غير مشتبه (٧٣)
٩٩	فابْرُز ورُدَّ ترى والله أجوبةً	مثل الصواعق تُردِي من تمرُّ به (٧٤)
١٠٠	عقلاً ونقلاً وآيات مفصلة	من كل أروع شهمِ القولِ منبته (٧٥)

بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِ صلى الله عليه وسلم: (لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...) (متفق عليه).

(٧٠) وقد تقدَّم آنفاً الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان، وهو مذهب القرون المشهود لها بالخير في حديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

(٧١) لقد وافق أهل العراق على ما ذهب إليه شيخ الإسلام في مسألة شد الرحال إلى القبور، وقاموا في الانتصار له والدفاع عنه. انظر: مجموع فتاواه (٢٧/ ١٨٢ –١٨٣، ١٩٣).

(٧٢) مرتجلاً: تكلمتَ كلاماً بدون أن تتهيَّأ له. غير مُنجَبِه: أي باطل لا قيمة له ولا اعتبار.

(٧٣) من أبيات السُّبكي أورده هنا تهكماً، ليُجيب عليه.

(٧٤) الصواعق: جمع صاعقة، نارٌ تسقط من السماء.

(٧٥) أروع: من يُعجبك حُسن كلامه، وجمال منظره، أو بشجاعته. شهم القلب: الذكي الفؤاد الذي يتوقد فطنةً وحكمة.

١٠١	ماضي الجَنَان كحدِّ السيف فِكَرُته	يريكَ نظماً ونثراً في تأدبه [٧٦]
١٠٢	وقَّادُ ذِهنٍ إذا جالت قريحته	يكادُ يُخشى عليه من تلهُّبِهِ [٧٧]
١٠٣	يُقابلون الذي يأتي بِمُشتَبِهٍ	من الكلامِ ولا يَخشونَ ذا النَّبَهِ
١٠٤	فمنزلُ القوم في أعلى منازلهم	فليس ذو منصب ينجو بمنصبه [٧٨]
١٠٥	وانظر إلى من طغى في الأرض من أممٍ	ولا تكن سالكاً في إثر سَبْسَبِه [٧٩]

(٧٦) الجنان: القلب.

(٧٧) تلهُّبِه: اشتعاله.

(٧٨) فليس ذو منصبٍ: أي إن المنصب الدنيوي لا يُساوي عند الله شيئاً، بل العبرة عنده سبحانه وتعالى بالتقوى والعمل الصالح، كما قال سبحانه: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات: ١٣).

وقال عز وجل: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الدخان: ٤٠ – ٤٢).

(٧٩) إثرِ سبسبهِ: أي وراءهم في أمكنتهم وبلادهم.

وقد بيّن سبحانه طغيان كثيرٍ من الأمم في كتابه، وأن عاقبتهم كانت الهلاك والخسران؛ لأجل ظلمهم وعدوانهم، فقال تعالى: {فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} (الحج: ٤٥).

وقال سبحانه: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} (الدخان: ٢٥ – ٢٩).

١٠٦	إن الإله يُجازي كل ذي عملٍ	بمثل إحسانه أو قبح مكسبه [٨٠]
١٠٧	هذا جوابك يا هذا موازنةً	بحراً وقافيةً في النظم والشَّبَهِ [٨١]
١٠٨	والحمد لله حمداً لا نفاد له	جار على مر ما يُقضَي وأطيبه [٨٢]
١٠٩	ثم الصلاة على خير الورى شرفاً	محمد المرسل الهادي لمذهبه [٨٣]
١١٠	وآله والصحاب الغرُ قاطبةً	ما أشرق الحق من أنوار كَوْكَبِه [٨٤]

(٨٠) وفي هذا إشارةٌ إلى قول الله عز وجل: {من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربُّك بظلاّمٍ للعبيد} (فصلت: ٤٦).

وقال جل وعلا: {ووُضع الكتابُ فترى المجرمين مُشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتابِ لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدُوا ما عملوا حاضراً ولا يظلمُ ربُّك أحداً} (الكهف: ١٩).

(٨١) جوابك يا هذا: أي السُّبكي. بحراً: من بحر العروض. قافيةً: آخر كلمة في البيت. أو هي الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة.

(٨٢) لا نفاد له: لا انتهاء له. في نسخة (جارٍ على... في حالة العُسرِ واليُسرٍ).

(٨٣) في الأصل (محمد المصطفى الهادي لمذهبه).

(٨٤) في الأصل (كلّهم). الغُرُّ: من القوم شرفاؤهم.